الحكومة الإسلامية

في

فكر السيد الشهيد محمد باقر الصدر

السيد

محمود الثعالبي الحسني

١٤٣١هـ ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مـقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين أبي القاسم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ، وبعد .

تُعدّ مسألة (الحكومة الإسلامية) عند المسلمين من أهم مسائل الفكر الإسلامي قديماً وحديثاً ، إذ سعى الأنبياء (عليهم السلام) قديماً قبل بعثة خاتم الأنبياء عليه السلام لأقامه هذه الحكومة فمنهم من نجح في تحقيق ذلك كالأنبياء يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وجعلوا شرع الله هو الحاكم بين الناس ، ومنهم من لم تمكنه الظروف الموضوعية من تحقيق ذلك وبمجيء الدين الخاتم والشريعة الحاكمة على كل الشرائع ، نجح الحبيب محمد صلى الله عليه وآله بإقامة هذه الحكومة وبناء أول دولة إسلامية تقوم على العدل والمساواة في شبه الجزيرة العربية ، ويعد رحيله صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى أختلف المسلمون على الأساس الذي تقوم عليه (إمامة المسلمين) بعده ، وانقسموا على فرقتين كبيرتين الشيعة التي تعتقد بان الإمامة هي قيادة (الحكومة الإسلامية) بعد الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** لا تكون الا بالنص والتعيين من الله تعالى وقد نص على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في غدير خم ، أما أهل السنة فهم يعتقدون بالشورى أساساً للحكم الاسلامي بعد الرسول صلى الله عليه وآله وانبرَى مفكرو الفريقين بجمع الادلة العقلية والنقلية لأثبات صحة ما يدّعون.

أما اليوم (فالحكومة الإسلامية) من أكثر المسائل إثاره للاهتمام في الأوساط السياسية والفكرية في العالم ولا سيما في بلدان العالم الإسلامي ، فقد نشأت تيارات إسلامية وحركات تطالب بإقامة (الحكومة الإسلامية) وقام مفكرو العالم الإسلامي بالتنظير لها سواء على أساس الشورى كـ (أبي الأعلى المودودي، وسيد قطب) وغيرهما من مفكري أهل السنة ، أو على أساس النص على الفقهاء وتعيينهم بالصفات في عصر الغيبة الكبرى كالسيدين (الخميني، ومحمد باقر الصدر) وغيرهما من مفكري الإمامية ، وذهب السيد (الخميني) (قدس) الى القول بـ (الولاية المطلقة للفقيه) وذهب السيد محمد باقر الصدر(قدس) الى الجمع بين (ولاية الفقيه) (الشورى) في نظرية (ولاية الفقيه والشورى) ، او (ولاية الفقيه المقيدة) .

وبذلك يكون الشهيد الصدر أول مفكر أثلامي في العصر الحديث يمزج بين ولاية الفقيه والشورى ، ومما دفع الباحث لدراسة (الحكومة الإسلامية) هو حبه الشديد لعقيدته الإسلامية العظيمة وتعلقه بها ، أما اختياره للسيد الشهيد محمد باقر الصدر أنموذجاً هو أعجابه بهذا المفكر والمتكلم الإسلامي الكبير الذي تصدى للأيدولوجيات المادية المعادية للإسلام وضحى بدمه الطاهر في سبيل دينه وشعبه ووطنه ضد البعث الظالم المقبور، وحتى يعرّف الباحث الأخرين (بالحكومة الإسلامية)عند

الشهيد الصدر(قدس) ومسؤوليتها اتجاه الله والشعب وليس ما يسود بالساحة العراقية اليوم من القوى والأحزاب السياسية الإسلامية (وكلٌ يدعي وصلاً بليلى) .

ولضخامة مسألة (الحكومة الإسلامية) ، ودورها الإسلام، وسعة مساحتها ، فإن هذا البحث يُعد محاولة لدراسة فكرية في بعض جوانبها وقد توخيت قدر المستطاع الاختصار والتوضيح ، إلا في مسائل رأيت من الضروري أن أتوسع فيها ، قد جعلت هذه الرسالة في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة .

وتحدثت في المقدمة عن البحث في الفكر الإسلامي وعن دوافع البحث وخطته وجعلت التمهيد على ثلاثة مباحث، عرفّتُ بالمبحث الأول بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث ،وتحدثت في المبحث الثاني عن الفرق بين مصطلحي الحكومة الإسلامية والدولة الإسلامية، وفي المبحث الثاني قدمتُ عرضٍ موجز عن سيرة حياة المفكر الشهيد محمد باقر الصدر(قدس) فقد بيّنتُ في الفصل الأول: أصل نشأة الحكومة الإسلامية في فكر السيد الشهيد الصدر من خلال نشأة هذه النظرية في فكره ، وأصلها الشرعي ، وضرورة الحكومة الإسلامية في فكره ، فجعلت هذا الفصل على ثلاثة مباحث : تحدثت في المبحث الأول : عن أثر الأدوار التاريخية التي مرت بها المسيرة البشرية في نشأة الحكومة الإسلامية ، وعالج المبحث الثاني : الأصل الشرعي لها من خلال النصوص الواردة في الكتب السماوية ، وأحاديث سيد المرسلين ﷺ ، وحاجة المجتمع للحكومة الإسلامية ، وتناول المبحث الثالث : الضرورة الشرعية والحضارية والتربوية للفرد والمجتمع ، وختمت الفصل الأول بأبرز ما توصلت اليه من نتائج، وعالج الفصل الثاني : ركائز الحكومة الإسلامية عند الشهيد الصدر من خلال الأدلة العقلية ، كالاستخلاف في فكر الشهيد الصدر، وفلسفة الشهادة وعلاقتها بنظرية ولاية الفقيه ، والعلاقة بين الشورى وولاية الفقيه عند الشهيد الصدر، فقسمت هذا الفصل على ثلاثة مباحث : تحدثت في المبحث الأول :عن ماهية هذا الاستخلاف الإلهي ذاكراً أدلة ابرز المفسرين المحدثين الذين خالفو السابقين من المفسرين المسلمين في تفسير هذا الاستخلاف كالشيخ (محمد عبده) من اهل السنة ، والسيد (الطباطبائي) من الإمامية الذين سبقوا الشهيد الصدر في تفسير هذا الاستخلاف الإلهي للبشرية ممثلة بآدم عليه السلام ، والأدلة عند الشهيد الصدر ثم المفكر المعاصر عالم سبيط النيلي الذي فسر هذا الاستخلاف بعده ، وعلاقة هذا الاستخلاف بنظرية ولاية الفقيه ، وعالج المبحث الثاني : فلسفة الشهادة وعلاقة هذه الشهادة بنظرية الحكم عند الشهيد الصدر، أما المبحث الثالث : فتناول العلاقة بين الشورى وولاية الفقيه عند الشهيد الصدر من خلال مفهوم الشورى ومدياتها ، ومفهوم ولاية الفقيه ، وختمت الفصل بأهم ما توصلت إليه من نتائج، وتناول الفصل الثالث : مسؤولية الحكومة الإسلامية في فكر الشهيد الصدر في تحقيق العدالة الاجتماعية ، والاقتصادية لجميع أفراد الأمة، فقسّمتُ هذا الفصل على مبحثين : عالج المبحث الأول : مسؤوليتها في تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال توافر الضمان والتكافل الاجتماعي لجميع الأفراد ، وتكفل المبحث الثاني: مسؤوليتها في تحقيق العدالة الاقتصادية ببيان مفهوم هذه العدالة ، وتقسيم الفيء ، وتنمية العمل

وقيامها بإصلاح الأرض وعمارتها، وتناول الفصل الرابع : دولة التوحيد العالمية وحكومتها عند الشهيد الصدر مبيناً مفهوم كل من دولة ، وحكومة التوحيد العالمية ، وعلاقة الإمام المعصوم عليه السلام بدولة وحكومته التوحيد العالمية، فقسّمت هذا الفصل على ثلاثة مباحث : عالج المبحث الأول : مفهوم دولة التوحيد العالمية ، وعالج المبحث الثاني : مفهوم حكومة التوحيد العالمية ، وتحدث المبحث الثالث : عن علاقة الإمام المعصوم عليه السلام بهما ، وأختتم البحث بأهم ما توصلتُ إليه من نتائج فيها.

واخيراً وبعد هذه المحاولة ، لا أدعي الكمال ولا التكامل النفسي فكل أبن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ، وختاماً أضع هذا الجهد اليسير والمحاولة المتواضعة بين يدي شيوخي وأساتذتي المناقشين الكرام ، ولا شكَّ أن ملاحظاتهم ستغني هذا البحث وتسد ثغراته ، وتُقوّم اعوجاجه ، وتصّوب ما فات قلمي وسهت به ذاكرتي ، وأسأل الله العلي القدير أن يأخذ بيدي إلى ما فيه الخير والصلاح وحسن العاقبة وأحمده وستعينه وأستغفره وأتوكل عليه وأسأله أن يختم لي بالسعادة إنّه سميع الدعاء جديرٌ بالإجابة .. والحمد لله رب العالمين .

ممم

الخاتمــة

بعد أن من الله تعالى عليّ بأتمام هذه الرسالة المتواضعة ، وفي ضوء ما قدمناه فيها على الرغم من قصر النظر وقلة المعرفة نعرض أهم النتائج والتصورات المستخلصة منها وهي كالآتي :

الأولى : لم يضع الشهيد الصدر حداً فاصلاً بين الدورين الثاني ، والثالث ، أي لم يؤرخ لنهاية الدور الثاني وبداية الدور الثالث كما فعل مع الدور الأول ، وختمه بنزول آدم عليه السلام الى الارض.

الثانية : استخلف الله تعالى البشرية في الارض ممثلة بآدم عليه السلام ، وقد اختلف المفكرون المسلمون في سر هذا ألاسخلاف الالهي ، فذهب الشيخ محمد عبدة أنها تعلم أسماء جميع ألاشياء من غير تحديد ولا تعيين هو سر هذا الاستخلاف ، وقد خالفه السيد الطباطبائي في هذه ألاسماء وأنها أسماء ألانبياء والأئمة عليهم السلام ، أما الشهيد الصدر فيرى أن سر هذا الاستخلاف هو الخط المكمل لخط الخلافة والمتمثل بالقيادة والتوجية الرباني على الارض وهو خط الشهادة .

الثالثة : ذهب متكلمو أهل السّنة بأن خط الشهادة في الإسلام هي وسطيته والمتمثلة (بالأمة الوسط) ، أما متكلمو الإمامية فإن ممثلي خط الشهادة عندهم أئمة أهل البيت عليهم السلام وهم (الأمة الوسط) ، وذهب الشهيد الصدر بإن علماء الشريعة هم الامتداد الطبيعي لخط الشهادة في عصر غيبة الإمام عليه السلام.

الرابعة : يعتقد متكلمو أهل السّنة بإن الشورى هي أساس الحكم الإسلامي بعد ﷺ ، بينما يعتقد متكلمو الإمامية بالنص والتعيين على الإمام هو أساس الحكم الإسلامي بعد النبي ﷺ ، ويرى الشهيد الصدربإن خطي الخلافة والشهادة ينفصلان في حالة غياب المعصوم عليه السلام فيحتفظ (الولي الفقيه) بخط الشهادة وتمارس الأمة دورها في الخلافة تحت أشرافه وتوجيهه ليكون لها الغطاء الشرعي ولتحد هي بالشورى من صلاحياته ضمن نظرية (ولاية الفقيه المقيدة) ،وقد لحظ الباحث على هذه النظرية بأنها توحي بعدم قناعة الشهيد الصدرالتامة بنجاح احد طرفي النظرية منفرداً (الولي الفقيه) ، أو (شورى الأمة) في ممارسة دور الخلافة عن المعصوم في غيبته عليه السلام ، فمزج بينهما في نظريته (ولاية الفقيه والشورى) وهذا من ابداعاته ومرونة فكره ، وقد بيّن الباحث ذلك في مكانه من البحث.

الخامسة : يتفق الباحث مع ماذهب إليه السيد الشهيد الصدر بأنه على الحكومة الإسلامية تحقيق العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي ، ويكون ذلك على مرحلتين :

الأولى - توافر فرص العمل للقادرين عليها .

الثانية - توافر الضمان الاجتماعي لغير القادرين على العمل .

السادسة : أنزل الله شريعة سماوية لتحقيق هذه العدالة فيها أحكام ثابتة والأخرى متحركة وهذه المتحركة يطلق عليها الشهيد الصدر بـ (منطقة الفراغ التشريعي) ورأى الباحث ان هذه المنطقة ليست من اكتشافه ، كما ان التسمية توحي بالنقص التشريعي، وهذا بلا شك لا يعنيه الشهيد الصدر ، لذا أرتأى الباحث تسمية هذه المنطقه بـ (منطقة الأحكام الولائية) وقد بيّن الباحث أدلة ذلك في مكانه من البحث.

السابعة : الإمام المهدي عليه السلام هو الثاني عشر من أئمة أهل البيت المعصومين عليهم السلام ، والإمامة المعصومة لأهل البيت عليهم السلام هي أمتداد لنبوة خاتم النبيين ﷺ ، وهي ظاهرة ربانية وسنة من سنن التاريخ الرسالي ، وهي بعد خاتم المرسلين ﷺ تقوم بالقضاء على الأختلاف وحفظ الدين وتربية الامة ، وتحقيق العدل الكامل في ربوع الاض، ويرى السيد الشهيد محمد باقر الصدر ان طول عمر الإمام المهدي(عجل الله فرجه) يسهم في اعداده النفسي ، والفكري ، وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود ، وقد ناقش الباحث هذا الرأي في محله من البحث وحسب فهمه القاصر ، وقلة معرفته في العقيدة الإسلامية ، وما توافر لديه من أدلة عقلية وأدوات معرفية بسيطة .

وبعد فهذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي المتواضع هذا فإن صحّت فهي من الله تعالى وتوفيقه ، وأن لم تصح فهي مني ، ومن الشيطان ، وأسأل الله العلي القدير العصمة في القول ، والعمل.